

# أيها الشعراء.. اسكبوا محابركم.. دواء للأرض

ويتحتم على شعوب هذه الدول مساعدة رؤسائها على ما انتووه.. وما استتبطوه من حسن نية.. ومن إدراك لمفهوم الرئاسة المقيّدة وغير المطلقة.. وما عود من أن الرئاسة لا تعود كونها وظيفة يؤديها الرئيس وينصرف من بعد أدائها بلا نية للخلود - لا على كرسي الرئاسة.. ولا حتى في الذاكرة الشعبية.. وهذا يقتضي من تلك الشعوب عدم الإصطاف في الشوارع لتحية «الرئيس المهلم» الذي جادت به السماء عليها.. وعقدت أرحام النساء من بعده فلم تنجب بمثل نجابته.. وأن الشمس قد أوزوت وهربت إلى مخدعها بعدما شعت ببهائها عليه وحده لتجعل «طلعتة بهية».. وتكتفي بها طلعة بهية واحدة ووحيدة..

وليصمت الشعراء.. ويسكبوا محابركم دواء للأرض.. ويكسروا أقلامهم.. ويبلعوا السننهم.. فلا يدبجوا القصائد المذهبات بالسيد الرئيس وبالزعيم الخالد وبالبطل الذي تخشاه ساحات الوغى.. وتحفل الخيل المحممة.. كلما أقبل.. أو زار زارة تشق الوديان وتحفر فيها الأخاديد..

وليوقف كتاب الصحافة السلطانية الكتابة عن حكمة السيد الرئيس ونظيرته الناقية وفصاحته وبلاغته وحذوه وعطفه ورحمته.. وليتسول المغنسون ويمدوا السننهم.. بعيدا عن تمجيد السيد الرئيس ومدحه في غناء مجوح منحور..

إن الشعوب التي تهتف لرؤسائها.. «بالروح بالدم نفديك يا...» لن تستقر على هذا الرئيس إن هو آمن في حوز رقبائها.. وفي ظلها.. وبني عرشه من جماجمها.. أليست هي التي طلبت ذلك؟

ألم تقديته بأرواحها ودمائها؟ إن ما الذي عمله السيد الرئيس غير أنه حقق مرادها واستجاب لما طالبت به.. ولما نحت حناجرها وهي تهتف به وتردده..

هذه الشعوب هي التي صنعت طغيان رؤسائها.. بتلذذهم وإهدار كراماتها في سبيل رؤسائها.. فهل يحق لمثل تلك الشعوب أن تشكو من ظلم رؤسائها وطغيانهم.. وهي التي حاكت عبادة الخلود لهم!

إن لكون الزمن القادم.. تمسك أقلامه أيدي تلك الشعوب.. فإنما أن تلوته بالأسود الكالح.. أو أنها تلوته بالأبيض الزاهي البهي.. وبايديها أن تصنع من رؤسائها طواغيت وأصناما خالدة.. في زمن سيكون لوته أسود..

أو أنها تلون بالبياض حياتها.. فلا تمجد رئيسا.. ولا تصنع زعيما عابرا لآقارات الزمن.. ليحل راسخا في دائرة الخلود!

والشعوب.. تكتب أقدارها بأيديها.. ولتكتف أيدي رؤسائها عن كتابة أقدارها.. ولا شك أن تلك الشعوب قد أدركت ذلك قبلي ووعته.. والأ ما كانت أشعلت نيران ثوراتها لتتبرع مستقبلها.. وترسمه باللون الأبيض..

ولن تبدل تلك الشعوب طاغية بطاغية.. هذا ما يقوله المنطق.. وما وعته الشعوب.



ولن تعود نخلاتها مقلقة بذهمها المكور.. ولن تخلع نساء السودان سوادهن البكي..

لن تعود البصرة كما كانت.. ولن تكون بغير ما هي عليه الآن..

القبح سيّد.. والجمال عبّد سجين..

كيف تصنع طاغوتك

الشعوب هي التي تصنع طاغوتها.. وتلبسهم حلال الألهة.. وتحبك من جلودها سياطا لهم لتلهب ظهورها..

وليس من طاغية صنع طغيانه ببيده.. بل إن السّاس هم الذين خلّعوا عليه تاج الطغيان.. ومنحوه رخصة إنزالهم وجلدهم..

واليوم تكتب الشعوب العربية - أو بعضها - صفحات جديدة من تاريخها.. ولم تكن كتابة هذه الصفحات الجديدة عملية سهلة لتتو و لا تتخفّف.. قدمت لها نرفا بالدم.. وبارواح أزهدت.. ويعرق نرف كثيرا من جباهه تعلقو و لا تتخفّف.. كل ذلك من أجل ألا تعش تحت ظلال الطواغيت والجبابرة والظلام والجلادين..

واليوم.. يحل على كرسي الرئاسة في أربع دول عربية.. هي تونس وليبيا ومصر واليمن رؤساء جدد.. جاءوا من رحم ثورات تعمدت بالدم.. وتظهرت بأرواح شريفة..

وليس هناك من يعتقد أو يظن.. أن هؤلاء الرؤساء قد جاءوا مضمرين الشر لشعوبهم.. أو أنهم جاءوا يجلسون على أرائك الطغاة.. حاملين سيات الجلادين.. ولم يتلبسوا أريضة الزعماء والأبطال..

بل هم موقنون تمام اليقين.. ومدركون إدراكا تاما كاملا.. أن شعوبهم قد جاءت بهم ليتولوا مناصب رئاسة الجمهورية.. وليؤدوا دورا وظيفيا رفيعا في بلدانهم.. ولم يأتوا في سبيل الرسوخ في ذاكرات شعوبهم ليتحولوا إلى أساطير لم تكتبها الكتب ولم ترسمها الأزمنة..

□ □ □

بالسواد وانجرأها وراء النطح والبطح..

□ □ □

ويخص «ابن البصرة» فيما كتبه.. مسيحي البصرة في أزمنتها المشرقة ودورهم في ذاك البهء البصري وقيادتهم لدفة التحديث والتجديد والباس البصرة أزياء الحدائسة.. فحكي عمن افتتح أول دار للسنيما في البصرة..

وكان مسيحيًا من أبناء البصرة.. وعن أجمل مطعم.. وأول سوبر ماركات.. والمحلات الراقية التي تباع بضائع الماركات العالمية.. وكل تلك الريادات كان وراءها مسيحيون بصريون..

وكذلك يمثل مسيحيو البصرة - آنذاك - لم تر في الكويت شيئا من ذلك..

كانت خارطة المدينة الكويتية «خط شعواء».. ونكش فراح في رمال صامدة..

وكانت الكويت بجلبها وجلبها.. وقضيا وقضيضها.. قرية مجلبة بالغبار والبسنيان ومدنرة بما حاكته أيدي الأولين من قدمائها.. وممشحة بما نسجته الأزمنة التي مرت عليها.. وأبقته حيث هي في جيباب جد جدتها.. ولم يحن لها الزمن الحديث رداء بعد..

بينما البصرة فلتت من قيد الزمن وتفلقت من ريقه الجمود.. وهفت سريعا إلى العصر وتلونت بالوانه الزاهية ولبست جديدة وتحدثت بلسانه..

لم تنس أنها حاضرة قديمة.. ولكن قدمها لم يمنعه من شرب كأس الحياة والخوض في مياه الدنيا وأرتشافها والاعتسال بها..

□ □ □

ما أنهض ذاكرتي واستدعي سنين سنين مغبرات غابرات.. وأحضر «البصرة».. فقرا إليها.. هو مقال قرأته مؤخرا لمن أسقى نفسه ب«ابن البصرة».. وخصصه للحديث عن واقع البصرة الحالي الكالح والكريه والكتيب والأسود.. مقارنة بما كانت عليه البصرة في الأزمنة المولدة وفي سنوات ما قبل الثورات والانقلابات.. وصولا إلى سيطرة الفكر الديني الإيراني عليها اليوم.. والخراب الذي حل فيها بسبب الإيرانيين.. وتجللها الإيراني..



عذب جار.. وأنوار تتلألا ليلا.. فتجعل المدينة كعروس تزف إلى فارسها الأول.. والناس هناك غير الناس في بلادتي فيما ليسون ويسلكون ويعملون ويأكلون.. ونساؤها غير النساء اللاتي الفتن عينا في بلادتي.. يخرجن إلى الشوارع والأسواق بكامل زينتهن.. ويتمهين وزينة بلادهن.. ولسنن جوارى محبوبسات بالسواد.. كنساء بلادتي آنذاك..

وفي صغرنا سمعنا من أهلنا قولا مأثورا لم تنسه ذاكرتنا وهو «عمار البصرة.. مايك حلو وبلك على السيف»..

عيسى الكويتية الصغيرة - آنذاك - لم تر في الكويت شيئا من ذلك..

كانت خارطة المدينة الكويتية «خط شعواء».. ونكش فراح في رمال صامدة..

وكانت الكويت بجلبها وجلبها.. وقضيا وقضيضها.. قرية مجلبة بالغبار والبسنيان ومدنرة بما حاكته أيدي الأولين من قدمائها.. وممشحة بما نسجته الأزمنة التي مرت عليها.. وأبقته حيث هي في جيباب جد جدتها.. ولم يحن لها الزمن الحديث رداء بعد..

بينما البصرة فلتت من قيد الزمن وتفلقت من ريقه الجمود.. وهفت سريعا إلى العصر وتلونت بالوانه الزاهية ولبست جديدة وتحدثت بلسانه..

□ □ □

ما أنهض ذاكرتي واستدعي سنين سنين مغبرات غابرات.. وأحضر «البصرة».. فقرا إليها.. هو مقال قرأته مؤخرا لمن أسقى نفسه ب«ابن البصرة».. وخصصه للحديث عن واقع البصرة الحالي الكالح والكريه والكتيب والأسود.. مقارنة بما كانت عليه البصرة في الأزمنة المولدة وفي سنوات ما قبل الثورات والانقلابات.. وصولا إلى سيطرة الفكر الديني الإيراني عليها اليوم.. والخراب الذي حل فيها بسبب الإيرانيين.. وتجللها الإيراني..

«البصرة».. والزمن المر..

«البصرة».. حاضرة الشعراء.. وحاضنة الشعراء.. وممذنة الكثيرين.. ومدرسة النحويين..

□ □ □

بنت النهر وأمّ النخل.. وحديقة العاشقين.. وكأس الندامي..

«البصرة».. بعضها - لا كلها - أو بعضها المتأخر.. بل قليل من هذا البعوض المبعوض.. مازال - ومنذ ستين عاما - يحتل جزءا صغيرا من ذاكرتي..

خضرتها.. نهرها العذب.. نخلاتها المليبات ذهبها.. تفاصيلها الملوثة.. حياتها المزركشة.. هذه العناوين.. مازال شيء منها طريح الذاكرة.. وقيد التذكر.. وفي دفتر الزمن غير المقروء..

□ □ □

كان ذلك المكتوب..

□ □ □

كان الطريق من الكويت إلى البصرة عامذاك واقصد عام 1952 شاقا ومضنيا وقد يكون مهلكا أيضا..

□ □ □

كان طريقا بريا متربا رمليا.. السيارة السائرة فيه عرضة لأن يبتلعها.. أو أن يحل بها كل مكروه مما تتعرض له السيارات وبإذات سيارات ذاك الزمان وأقل تلك المكاره أن تنغرز عجلاتها في الرمل فتسحر وتبني أن تتحرك لأن الرمل قد بلغ منها مبلغه..

وسد منافذ التحرك وأغلق سيله.. ولا من منجد ولا من منقذ.. حيث الطريق مقطوع من السيارات لقلتها - أولا - ولتعدد الجادات والمسالك التي تسلكها السيارات - ثانيا - فليس هناك طريق مرصوف ومعبد وموحد يأخذ إلى الجهة المقصودة كما نعرف في طرقنا الحالية..

بل كانت جادات متعددة وحسب خبرة السائقين فالسائق الماهر وذو الخبرة العريقة في الطريق يعرف أهون الطرق وأسهلها وأقلها مخاطر والسالكة والمأمونة أكثر من غيرها.. أما السائق الغشيم قليل الخبرة وقليل التجربة فقد يعرض سيارته وركابها إلى شيء من أهوال الطريق..

□ □ □

□ □ □

□ □ □

□ □ □

□ □ □

□ □ □

□ □ □

□ □ □

□ □ □

□ □ □

□ □ □

□ □ □

□ □ □

□ □ □

□ □ □

□ □ □

□ □ □



«البصرة».. بين مسيحيها.. وملاي إيران..

زمن كان بهيئا.. وزمن كالج..

القبح سيّد.. والجمال سجين مستعبد..

ليس من طاغية يصنع طغيانه ببيده..

من يصنع طاغوته.. عليه أن يتحمل طغيانه..



الشعوب هي التي تصنع طاغوتها..

